

قصة قصيرة

سخونة الجسد



صالح جبار خلفاوي

بغداد

وضعت في طبق الخوص آخر رفيف سحبته من التنور .. الأرفة الساخنة جعلتني اشعر بالجوع .. انسحبت حاملة ما خبزته .. الظل يبقى متشبهاً تحت السقيفة الواطئة .. فيما بقينا نترصدنا بعيون فارغة .. الحائط



جرك نفسك قليلاً .. أشعر بالتعب .. جسديا المستدير يتحرك بنشاط .. اردافها تثير فضولي .. أمد يدي نحو كوز الماء البارد .. ارتشف قطرات منه .. أسمع صراخها المفزع : -جسد الطفل ملتهب من الحرارة .. العام الماضي حينما انتقلنا الى السكن بالخان الكبير .. اعطانا مالكة زاوية في نهايته عبارة عن غرفة نوم وأخرى للجلوس مع مساحة واسعة مشغولة بمواد مختلفة .. العمل كحارس له ميزاته ومخاطره .. أبقى الباب الواسع مغلقاً طوال فترة الظهر والمساء .. بعدها أحاول التخلص من رطوبة اليوم .. أمضي بتؤدة نحو الشارع حيث أعمدة النور تضوء بالوان صفراء فاقعة لبيدو المشهد شبه مُعتم .. نجلس سوية نحن الأصدقاء تحت عمود مطلقاً المصباح .. ندخن لفاقاتنا بهدوء غريب ..

الجسر لايبعد كثيراً .. بنيت تحته مقام أحد الأولياء .. بقية زرقاء تمتد جذورها الى سطح الماء المائل للخضرة .. في إحدى الزيارات تعرفت عليها .. بدت عالماً ساحراً .. أخبرتني أنها مطلقة .. منذ عامين .. أين خالقتها سكير .. لايطبق البقاء مع امرأة .. تقول : متعتها تحديدا مدة الانسجام .. حينما تعرف على مومس تركها تعاني الوحدة .. في حجرة مؤجرة .. يجاورها عامل تصليح دراجات هوائية ..

مضت الرغيف الحار ... أحضرت لي قدح الشاي .. المروحة تدور ببطء .. خفت صوت الطفل .. جلست على سريره المزوي .. تطالع وجهها بمرارة صغيرة .. -خسارة هذا الجمال يدفن في القمامة .. مواء قطة باتي من الباب الموارب .. تمد رأسها بعينيه البراقبتين .. تلتقي مراتها على الفراش .. -أطردا .. سوف تاكل الطعام ..

صاحب المخزن رجل خمسيني .. متصابي .. في غفلة مني يطاردها .. أتابعهما عن بعد .. التجسس عمل مغري .. يجعلك في قلب الحدث وبعيداً عنه في آن واحد .. عند لحظة ضعفها تسمح ليداه باللعب في جسدها المنتفض .. ثم تنتبه .. تدفعه .. بتبول الوقت يتأرجح بين الخضوع والتمرد .. اختبار لايمكن الركون اليه .. حالة من الشد تتأبني .. تعاود القطة مواها الخافت .. تتسلل بخفة نحو الصحون المتروكة قرب الموقد .. تنتفض المرأة ثانية .. تهم بالتقاط شيئاً من الأرض لتلقيه عليها .. -بشت .. بشت .. ألم أقل لك أطردا ؟!

أشعر بسخونة جسدي .. الطفل يلغ بكلامه .. يطل علينا راساً أنيقاً .. ووجه يعلوه عبوس مفتعل .. ومعاني لكلمات مغلقة بدون طائل .. -لم تترك باب الخان مفتوحاً ..؟ -أستطرد متحدثاً بصوته الناعم : -إلا تخشى من سرقة البضاعة ..؟

الباب كبير لايتحرك بسهولة .. أستدرت نحو الرجاج رحت ادفعه بظهري .. أخيراً استقر مكانه .. تحركت الى الضلعة الأخرى .. تعرق صدغي من الشد .. أتسخت فأنيلتي .. من دهان الباب .. القطة تتحرك بين البضائع المكسدة .. بجخت عن بقايا طعام لارميه لها .. رابتي سكون موجع واصوات مكتومة .. الطفل غافياً في مهده .. صاحب الخان اعطلى السرير فوق الجسد المتين .. لم أجد شيئاً أعير به عن غضبي سوى الصراخ : -بشت .. بشت .. نهض صاحباً سرواله الى الاعلى .. ليخفي عورته .. القطة ففزت باتجاه بقايا الاكل .. باب الخان يطرق بلا توقف .. رعشة تتأبني بلا

توقف .. فيما بنطالي ينسحب الى الأسفل .. تركت المكان .. ففتشت عن ملجأ اوي اليه .. لم يكن سوى مرقد الولي .. وضعت رأسي على حجر رطب .. غفوت .. أشباح تطاردني .. أهرب .. تتبعني الى سموات تفضي الى وجع يتمرى على جروح تأتي أن تندمل ..

أحمل ندوبي الى رجل وقور .. ينلقفها .. اذكر محنة الذين خاضوا في جهاد لم يزل الى الان بصوارث الإحبال .. محنة علي مع ابي سفيان في الفسطاط .. تراها محنة متبادلة .. كبر القوم يحن الى الملك العضوض .. وحرقة الإمام على فيض النبوة .. عالمان متصارعان .. حينما شخب الدم بين أمية وعمرو .. جرت دماء كخيرة .. لم يتوقف بعدها الذبح .. وسادني الحزبية تؤلمني .. المزار مكتظ بالمريدين .. عشقي المطعون ينكئ جرحي بصمت ..

ابث وجعي نحو الشباك .. لا يبرد قلبي .. ما زالت صورة الرجل الخمسيني مطبوعة في ذهني .. الصموت المكتوم يتأرجح بتجاويف لآقرار لها ..

يزحف مؤشر غامض يستفز بقايا صور مأكثة في الوجدان .. ضحكاتها الأولى شدتني الى عوالم أفقدتها .. محاصر بين حرب مستمرة .. وحريق يشب في المدن والقصبات .. اصابعها المكتنزة .. توجي بالترف .. الرغبة سعار .. اسنانها البيض تشع من فم مغري .. النض يسري بانتفاض .. -ساجلك سعيداً .. سعادتني عنوان زائف .. كل ما حويناها طفل بلغ .. ومكمن لإحمن من التعرض .. بحضن خادم المرقد .. ينظف الزوايا .. يرى قطة تدور حول الزوار يصرخ بها : -بشت .. بشت .. يبقى المكان مزدحماً بالزوار الملتفبين ..

الفجيرة كلها



مالك الواسطي

نابولي

وَمِنْ هُنَا مَرَّ الْغُرَاةُ
وَوَظَلْ هَذَا اللَّيْلُ بَابًا لِلشَّتَاتِ.
... أَوْ تَعْلَمِينَ!

... قَدْ غَادَرْتَنِي فِي الدُّعَاءِ

سَلَامَتِي
فَفَرَحْتُ مِنْ قُرْبِي الْبَيْتِ
وَتَعَثَّرْتُ فِي الْخَافِقِينَ
مَحَبَّتِي
فَحَسِبْتُهَا جُرْحًا يَنْزُ دَمًا عَلَيْكَ
فَأَنْدَاحَتْ الْأَيَّامُ بَيْنَ أَصَابِعِي
غَرَقِي،
تَلَوْدُ بِهَا الطَّرَائِفُ
وَالْمَسَاجِدُ قَدْ عَدَتْ بِيَدَاءِ
يَسْكُنُهَا النَّحِيبُ
تَطَوَّفَ مِثْلَ حَمَامَةٍ
وَتَفَرُّ مِنْ وَجَعٍ إِلَى وَجَعٍ نَتِيبٍ.

... أَضَاعَنِي الْوَطْنَ الضَّرِيرُ!
أَمْ ضَاعَتْنِي الْأَرْضُ بَيْنَ شَفَوقِهَا
فَبَدَأَ الزَّمَانُ مَجَافِيًا
وَالطَّيْفُ أَبْعَدُ مَا يَكُونُ

يَا مُنْقِذِي... اللَّيْلُ يُطْبِقُ وَالنُّوَانِدُ يَعْثُلِيهَا
الْخَوْفُ وَالْأَطْفَالُ سَكْرَى نَائِمُونَ بِجَبْتِي وَاللَّيْلُ
يَطْمَرُنِي فَنَاعَسَ لِحْطَةً وَأَنَا أُجْرَجُ مَا تَبَقَى مِنْ
رَمَادِ اللَّيْلِ بَيْنَ مَدَامِعِي أَغْفُو أَضْمُ مَفَاتِنِي فِي
زَهْرَةِ الرَّمَانِ يَعْصُرُنِي الْجَنُودُ الْوَدُ ثُمَّ الْوَدُ بَيْنَ
عَبَائِي فَعَلَى الْحَصِيرَةِ قَدْ أَبَاحُوا بَعْتَةَ مَدْنِي
وَعَاثُوا فِي السُّهُولِ وَبَيْنَ سُنْبُلَةٍ وَسُنْبُلَةٍ تَنَادَا
لَمْ يَزَلْ فِي الدَّارِ صَوْتُ رِصَاصِهِمْ وَعَلَى
الجِدَارِ شَوَاهِدِي كُنْتُ بَيْتِي بِهَا الطُّغَاةُ فَهَاهُنَا
قُتِلَ الْفَرَاتُ وَمِنْ هُنَا مَرَّ الْغُرَاةُ وَظَلَّ هَذَا اللَّيْلُ
يَسْكُنُهُ السُّكُوتُ
موت يطرن نوبه حزن صموت.

قَدْ غَادَرَ الْعُشَاقُ دَارَكَ وَالْفُصُولُ
فَرَاشَتْهُ سَكَنَتْ مَفَاتِنَهَا الْفَجِيعَةُ
وَالدِّيَارُ تَدْكُكُهَا قَطْعَانُ قَائِلَةٌ يَتَوَجَّهْهَا الرَّمَادُ
عَدَتْ تَغَطِّيَهَا الْمَائِمُ وَالسُّهُولُ
مَقَارَةٌ،
جُئْتُ تَجُرُّ بِهَا الرُّعُولُ
... أَضَاعَنِي الْوَطْنَ الضَّرِيرُ!
أَمْ ضَاعَتْنِي بِهَجَّةِ الْكَلِمَاتِ بَيْنَ رَمَادِهَا؟
فَبَدَأَ الطَّرِيقُ مَعْفَرًا بِعِبَارِهِ،
وَالدَّارُ أَبْعَدُ مَا تَكُونُ وَسَادَةٌ،
سَكْرَى يَطُوفُ بِهَا الشُّجُونُ
مَعَانِقًا وَهَمًّا تَسُوقُ بِهِ الْفَجِيعَةُ
وَالنَّهَارُ يَظَلُّ
بَيْنَ يَدَيِ يَسْكُنُهُ السُّكُوتُ
موت يطرن نوبه حزن صموت

وَعَلَى يَدَيِ تَنَامُ كُلُّ مَتَاعِي
وَعَلَى جِدَارِ الْبَيْتِ تَعْفُو لَمْ تَزَلْ
كَلِمَاتُهَا: قُتِلَ النَّهَارُ!
وَفَاضَتْ الْكَلِمَاتُ فِي الْكَأْسِ الْأَخِيرِ.
أَأْتَاهُنِي الْكَأْسُ الْأَخِيرُ!
وَمَنْ تَرَى فِي الْكَأْسِ يَغْفُو بَعْدَ سَكْرَتِهِ سَوَائِي؟
... وَكَمَا تُرِيدُ سَأَتْرُكُ الْأَبْوَابَ مُشْرَعَةً وَأَغْفُو
فَالطَّرِيقُ إِلَيْكَ عَوَسَجَةٌ تَحْفُ بِهَا الْفَوَاجِعُ
وَالصَّغَارُ كَوَرْدَةَ الرِّيْحَانِ تَعْفُو بَيْنَ طَيَّابَاتِ
الشُّجَرِ لَكِنْ هَذَا الْخَوْفُ يُوقِظُنِي فَأَفْرُشُ فِي
الرُّوَاقِ تَأْهَبًا جَسَدِي الْيَتِيمَ حِكَايَةً فِي الْحَبِّ
تَعْرِفُهَا لَعْلُ الْعَاشِقِينَ كَمَا الضُّحَى يَتَرَحَّمُونَ
عَلَيَّ يَوْمَ يَرُونَ فِي عَيْنِي هَوَاكَ.

جَمْرَةٌ لَكِنْ فِي الْمَرَاةِ كَانَ اللَّيْلُ يَهْبُطُ
وَالنَّهَارُ يَتَبَّهْ فِي الْعَمَمَاتِ
لَمْ يَبْقُ الْغُرَاةُ عَلَى الشُّوَارِعِ غَيْرَ
وَجْهَ الْفَاتِحِ التَّتْرِي مُحْتَفِلًا
وَبَعْضُ غَنَاءِ خَنْزِيرٍ تَجُرُّ بِهِ الرُّعُولُ
... أَضَاعَنِي الْوَطْنَ الْخَجُولُ
أَمْ ضَاعَتْنِي بِهَجَّةِ الْكَلِمَاتُ فِي الزَّمَنِ
المُهُولُ؟
يَا مُنْقِذِي...!

سَكَنَ الْغُرَاةُ رَمُوشَ عَيْنِي وَالسُّهُولُ
وَرَارَنِي رَمَدَ وَالْبَسْنِي التَّرَابُ
ثِيَابُ كَاهِنَةٍ تَنَامُ عَلَى الرِّصِيفِ
لِهَاتِهَا جَمْرُ الظُّهَيْرَةِ
وَالظَّلَالُ بِلَاؤُهَا وَجَعُ
يَسِيرُ عَلَى الضُّلُوعِ كَأَنَّهُ مَطَرٌ ظَرِيفُ
بِنْتُ ثُمَّ بِنْتُ فِي قَلْبِ رَهِيْفُ
أَخَالَهُ مَا بَيْنَ دَجَلَةٍ وَالْفَرَاتِ
حَمَامَةٌ، سَكْرَى
تَعَانِقُهَا الْمَسَاجِدُ وَالْمَقَابِرُ وَالْبَيُوتُ
كَأَنَّهَا كَلِمَاتُ عَاشِقَةٍ يَكْفُنُهَا السُّكُوتُ.

... جَلَسَتْ تَدُقُّ بِبَابِهَا وَعَوَّلُهَا بَحْرَ تَعَالَى
مَوْجُهُ، صَبِحَاتُهَا مَكْنَتْ طَوِيلًا فَوْقَ أَعْمَدَةٍ
الطَّرِيقِ كَأَنَّهَا أَرْضُ تَشَقُّ بِهَا الْمَنَاجِلُ وَجْهَهَا
التَّتْرِي تَخْفِي فِي الشُّفُوقِ مَصَاحِفًا كُتُبًا
لَأَزْهَارِ الْبِنْفَسِجِ لِلطُّيُورِ الشَّامَخَاتِ عَلَى غُبَارِ
المُوتِ وَالكَدَمَاتِ فِي وَهَجِ الظُّهَيْرَةِ وَالظُّهَيْرَةِ

